جامعة البصرة

كلية الآداب

قسم الفلسفة

محاضرات في فلسفة الأخلاق

(مفاهيم ومدارس أخلاقية)

أ.م.د. نوال طه ياسين

للعام الدراسي ٢٠٢٠-٢٠٢١

تاسعا/ مفاهيم رئيسة في فلسفة الأخلاق

١- مفهوم الخير:- هو أساس مبحث الأخلاق، وهو غرض أفعال الإنسان كما جاء في كتاب ارسطو (الأخلاق الى نيقوماخوس) حيث يقول :(كل الأبحاث العقلية وجميع أفعالنا تظهر إن غرضها شئ من الخير ترغب بلوغه)، والخير يقال مقابل الشر ويقصد به الفعل الذي يحقق الرضا والإشباع لما فيه من نفع او ما يجلبه من لذة وسعادة او لاتفاقه مع القواعد الإلهية، وهناك تصورين للخير :-

أ- التصور الموضوعي:- الخير في هذا التصور مبدا عام مطلق ثابت في كل زمان ومكان فهو عند أفلاطون ذروة العالم المثالي والمبدأ الأسمى الذي ينظم الموجودات، وللخير مستويين عند أفلاطون (الخير الأقصى وهو مثال الخير، والخير الانساني وهو خير محسوس ينتمي الى مجال حياة الإنسان الواقعية) .
أما في الفلسفة المسيحية فان توما الاكويني يعتقد أن كل عمل موجه نحو غاية ما او خير ما ويتمثل هذا الخير عند الكائنات الناطقة في التفكير الذي يمكن له الانتباه وتقصد اليه الإرادة والله وحده هو السبب والعلة الأولى لكل موجود والمبدأ الثابت لكل حركة ونحوه تتجه كل الموجودات بحق وهي تنشد الخير فالخير الأقصى للإنسان هو الله .
ب- الإرادة الخيرة :- هذا المفهوم للخير يعد محور الأخلاق يقابل مفهوم الواجب عند كانط الذي يجعل من الأخلاق دراسة الإلزام، ودراسة الخير تكشف عما ينبغي السعي اليه أي أهداف السلوك وغايته المثلى، بينما دراسة الإلزام تعني ما ينبغي عمله أي الطريقة التي يجب بها تحقيق الخير، واهتمام كانط الأساسي ليس الخير بل الواجب، فهو يتناول مفهوم الإرادة الخيرة باعتبارها المبدأ الأخلاقي الأول (فالإرادة الخيرة هي فقط ما يمكن أن يعتبر خيرا بلا قيد ولا شرط من بين موجودات هذا العالم)صحيح أن هناك عطايا طبيعية كالذكاء والإرادة ونعم الحظ كالشرف والمال والسلطة لكنها في نظر كانت (ليست خيرات في ذاتها لأنها ممكن أن تستخدم للشر او للخير) .

٢- التصور الذاتي :- وهو تصور الاتجاهات الطبيعية والحسية والتجريبية التي ترى أن الخير والشر مفاهيم نسبية اصطلح الناس عليها من خلال تجاربهم ومن هنا اختلفت باختلاف المجتمعات في كل زمان ومكان، ويمكن أن نجد نماذج لهذا التصور لدى جيرمي بنثام فهو يعتقد أن الطبيعة وضعت الإنسان تحت حكم سيدين حاكمين هما اللذة والألم كما جاء في كتابه (مبادئ التشريع و الأخلاق)، أما جون ستيوارت مل فانه يؤكد أن السؤال عن الخير هو سؤال بخصوص الأشياء المرغوبة وأن الدليل الوحيد على أن الشئ خير هو أن الناس بالفعل ترغب به ويستنتج من ذلك (أن لاشئ مرغوب في الحقيقة سوى السعادة) .

والخير بالمعنى العام الذي يتمثل القيمة العليا في تنظيم سائر قيمنا ينقلنا الى الخير الأقصى فالناس والشرائع والأديان يهتمون ليس فقط بالخير ولكن بالخير الأقصى وفي ذلك يقول سبينوزا في (رسالة في اللاهوت و السياسة) (إن سعادة الفرد ونعيمه الحقيقي لا يكونان إلا في تمتعه بالخير لا في فخره انه وحده الذي يتمتع به مع استبعاد الآخرين ومن يضن انه حصل على سعادة اكبر لانه وحده في حالة طيبة في حين أن الآخرين ليسوا كذلك فمثل هذا الشخص يجهل السعادة والنعيم الحقيقي)

٢-مفهوم السعادة :-

السعادة ضد الشقاوة وهي الرضا التام بما تناله النفس من الخير والفرق بين اللذة والسعادة إن السعادة حالة خاصة بالإنسان وأن رضا النفس بها تام، في حين إن اللذة حالة مشتركة بين الإنسان والحيوان ورضا النفس بها مؤقت. ومن الأسئلة التي تطرح لتحديد مشكلة السعادة في أنها هل هي ذات مصدر خارجي أم داخلي؟ وهل دلالتها حيازة شيء ما أم هي حالة شعورية ؟ وهل هي أمر شخصي؟

وقد جرت العادة على تناول مسألة السعادة في إطار فلسفة الأخلاق، الا ان هذا المفهوم يتعدى بكثير حدود هذه الفلسفة، لإن مفهوم السعادة يهم كل انسان من حيث

هو انسان ولا يهم الفيلسوف وحده، على خلاف الحال مع مفهوم التناهي او مفهوم الصيرورة مثلا .

ومع ذلك فلا جدال في أن مفهوم السعادة يدخل في اهتمامات فيلسوف الأخلاق إذا أخذنا فلسفة الأخلاق على أنها البحث في مبادئ السلوك الانساني وغايته، لان السعادة تدخل على الفور في نطاق غايات السلوك، ويمكن القول إن من نظريات الأخلاق تؤكد على الغاية الأخلاقية وعادة ما تهتم بمفهوم الخير وهي التي عادة ما تكون أخلاق السعادة او أخلاق اللذة، فهي تهتم بما بعد الفعل .

وهناك مواقف مختلفة للفلاسفة من مفهوم السعادة

١–فالسعادة في رأي ارسطو هي(الحياة النشطة المتوافقة مع الفضيلة) .

٢–أما ابن سينا فيقول في رسالة في السعادة هي(البقاء السرمدي في الغبطة الخالدة في جوار من له الخلق والأمر تبارك وتعالى) .

٣–وهناك من ربط بين مفهومي الفضيلة والسعادة اذ عرف الرواقيون السعادة بأنها(الفعل الموافق للعقل) .

٤–وقال سبينوزا "السعادة ليست مكافأة على الفضيلة، بل هي الفضيلة في ذاتها" .

٥–أما كانت فيقول "إذا لم نجد من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بان الفضيلة والسعادة متحدتين، انهار في أذهاننا أساس الأخلاق" .

الفرق بين تصور الرجل العادي والفيلسوف للسعادة :

الرجل العادي يتصور السعادة هي الحياة من دون عقبات في إطار مادي مناسب (العمل، والمال، والمسكن)، او في اقل كلمة هي الرفاهية، والواقع إن التصور العادي للسعادة يجعل منها مرادفا للذة، وبين اللذة والسعادة عناصر مشتركة هي

عناصر الإشباع، والرضى، والمتعة، وقلة الألم، وقد رأى ارسطو أن اللذة شرط ضروري للسعادة إن لم تكن شرطا كافيا، بينما اعتبر ابيقور أن السعادة ما هي إلا اللذة الثابتة، أما المذهب الذي وحد صراحة بين اللذة والسعادة فانه المذهب النفعي في الفلسفة الانكليزية عند بنتام وجون ستيوارت مل، وكان بنتام يوحد بين السعادة والمنفعة واللذة والخير، أما جون ستيوارت فيقول "إنني اعني بالسعادة اللذة وغياب الألم، كما اعني بلا سعادة السأم والحرمان من اللذة"، وإذا كانت السعادة إحساس غامر بالنجاح والشبع والاكتمال يحس به الإنسان ككل قد ينتج بعض اللذات، إلا إن اللذة بحد ذاتها نشاط قد يؤدي مع غيره الى هذا الاحساس لان اللذة هي المتعة الناتجة عن نشاط الحواس .

٣- مفهوم الضمير :-

عرض لتفسير طبيعة الضمير العقليون الذين اعتبروه قوة فطرية وكان في مقدمة هؤلاء كانط، واعتقدوا إمكان تفسيره تفسيرا عقليا وفهم أوامره بالتفكير، **فالضمير قوة فطرية كامنة في طبيعة البشر تدرك الخير والشر من غير خبرة سابقة** والدليل على ذلك إن ما تتضمنه قوانين الأخلاق من قوة موجبة للعمل وما تتصف به الأحكام الخلقية من عمومية وصدق مطلق يشهدان بأنها ترتد الى فطرة البشر او أنها نتيجة ضرورية تلزم عن نمو العقل العملي .

وقد رفض أتباع التجريبية الحديثة الضمير الحدسي، وحاولوا تفسيره في ضوء التجربة، ومنهم أتباع المنفعة العامة ودعاة مذهب التطور وأنصار المذهب الوضعي، ورفضوا اعتبار القوانين الأخلاقية أولية فطرية، وسخروا الأخلاق لخدمة القيم والخيرات المادية ومن أمثلة هذه المذاهب مذهب المنفعة اذ اتفق أصحابه على التوحيد بين الضمير الاستبصار أي (التقدير العقلي لنتائج الفعل وآثاره)، فالفعل الخير هو ما حقق او توقع صاحبه نفعا او يدفع ضررا وكانوا يوحدون بين اللذة والمنفعة والسعادة، وبين الألم والضرر والتعاسة، وهكذا انتفى عندهم القول بفطرية الضمير وعمومية أحكامه .

ومن اجل هذا نلاحظ أن بنثام يرفض الاعتراف بوجود مبدا الضمير ويحرص على ربط الخير بنتائج الأفعال، ويعلق الأخلاقية بجزاءات الفعل بدنيا واجتماعيا وقانونيا ودينيا، أما جون ستيوارت مل قد أيد بنثام فيما سبق ولكنه أضاف جزاء خامسا (جزاء الضمير)، وهو الذي يتمثل في الشعور بالألم عند عصيان الواجب، ويعتقد مل أن الضمير يمكن أن يعلم و يوجه الى حيث يريد المربي ويعتقد أن في الإنسان نزوعا طبيعيا الى ربط الضمير بمبدأ المنفعة .

وفي مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر نشأت نظرية التطور وقد سعى هربرت سبنسر الى تطبيق هذه النظرية في مجال الأخلاق فانه اعتقد أن المبادئ الفطرية نشأت بالتجربة بعد تطور طويل في حياة الجنس ولكنها تبدو اليوم في نظر الفرد فطرية .

أما أصحاب المذهب الوضعي الاجتماعي فقد ارجعوا الضمير الى المجتمع الذي اعتبروه المصدر الوحيد للقيم فالمثل العليا تنشا في حياة الجماعة ولا يخترعها الفلاسفة فهي تمثل رغبات الأفراد في إرضاء المجتمع الذي ينتمون اليه، وبها يتفادون استهجان الرأي العام والعقوبات التي ينص عليها القانون او الدين السائد، وهكذا ينشا الضمير في المجتمع ومن حاول قهر الضمير الجمعي عرض نفسه الى سخط المجتمع ومعنى هذا أن الضمير صدى للقواعد التي فرضها المجتمع الذي يعيش فيه، وبذلك يعد الضمير الخلقي تعبير عن وجدان يتمثل في استحسان فعل فنسميه خيرا و استهجان آخر فنسميه شرا .

٤-مفهوم الحرية/

ان التعريف السائد للحرية "**أنها وعي الضرورة**"، ويعتقد أغلب الفلاسفة أن الأخلاق لا تستقيم إلا مع الحرية بوصفها مسلمة أساسية لإلحاق المسؤولية الأخلاقية بالإنسان . وقد اتخذت مشكلة الحرية طابع الصراع بين موقفين :

أ–موقف القائلين بأن الإنسان يملك قدرة حقيقية للتحكم بأعماله وبالتالي فأنه المسئول الحقيقي عن هذه الأعمال .

ب–موقف القائلين بالجبرية، أي أن أعمال البشر مقدرة سلفا .

ففي **علم الكلام الاسلامي** كان المعتزلة خصوم للقائلين بالجبرية، وكانت نقطة انطلاقهم دينية محضة، فالعدل الإلهي لا يمكن أن يكون إلا إذا كان الإنسان مسئولا عما يقوم به، أي يملك حرية تمكنه من الاختيار بين عمل الخير وعمل الشر، فالحرية هي الشرط الذي بدونه لا يمكن أن تتم العدالة الإلهية.
اما في **الفلسفة الوسيطة** فقد اتخذت مشكلة الحرية صورة الصراع بين ابيلارد وأوغسطين، بين انسان يصنع قدره، وبين قدر رسم كل شيء سلفاً، وعن هذا الصراع نتج موقف وسط تمثل في موقف توما الاكويني وبما عرف في تاريخ الفلسفة بمفهوم القدرة على الاختيار، أي القدرة على اختيار أمر أو نقيضه .

٥–**المسؤولية** :– المسؤولية هي ذات ارتباط بمسؤول أي مع انسان يطرح عليه السؤال بشان أمر من الأمور او فعل من الأفعال مع افتراض بأنه يستطيع الاجابة عليه بل يجب أن يجيب عليه، و تبقى المسؤولية الأخلاقية ميزة من يستطيع الاجابة عن أمر من الأمور اذ يعود اليه تحمل مختلف تبعات التصرفات و بالذات التصرفات العابثة، و هي ميزة من يستطيع أن يجيب امام الله و امام ضميره عن أفعاله، و يجب أن يقر بالأفعال الصادرة عنه و يرضى بما ينتج عنها فلا يقر بأنها أفعاله إلا لتيقنه من انه تصرف بمعرفة تامة و بحرية واعية و ذلك يعني أن المسؤولية الخلقية تنطبق فقط على الأفعال الواعية و الحرة سواء كانت أفكارا او أفعالا .

إن التمييز بين الخير و الشر و ارتباط كل منهما بتكوين الإنسان المتميز بالعقل و الإرادة الحرة يبرز دور القصد الواعي والإرادة الصالحة والشريرة داخل الإنسان، فسقراط ينسب المسؤولية الى الإنسان لانه كائن عاقل يستطيع أن يبرر ما يقوم به لكون الفاعل سيد أفعاله و لها تبعية خلقية و بموجب التبعية الخلقية ينسب الفعل الى الفاعل مع المديح إن كان صالحا والذم إن كان طالحا، ويمكن هنا رؤية ارتباط التبعية بالخلقية فكل فعل حر ذي تبعية قابلا لان يكون فعلا أخلاقيا .

٦-مفهوم الواجب/

لقد لاحظ بعض مؤرخي الفلسفة انه لا وجود لفكرة الواجب تقريبا في كل المذاهب الأخلاقية القديمة حتى لايوجد لفظ يترجم معنى (الإلزام) في كل من اللغتين اليونانية و اللاتينية، و ربما أن الفلاسفة اليونان تصوروا أن الفضيلة هي ضرب من الانسجام او التوافق او الطمأنينة في حين أن الحياة الخلقية هي أيضا في جانب من جوانبها إلزام، وحتى العصر الحديث صور بعض فلاسفته أن الخير مجرد شئ ملموس فراحوا يقيسون نتائج الأفعال بمعيار تجريبي، لكن العصر الحديث قد شهد اتجاهات أخلاقية جديدة أراد أصحابها اعتبار الواجب او الإلزام دعامة الأخلاق على اعتبار أن الإلزام يقوم أولا و بالذات على بعض العلاقات الباطنه المتضمنة في صميم الفعل الخلقي نفسه، و اعلى صورة من صور الأخلاق الإلزامية هي تلك التي عبر عنها كانت في كتابه (نقد العقل العملي) .

عاشرا/ مشكلات في فلسفة الأخلاق

المطلق والنسبي

قد تكون أول مشكلة تصادف فيلسوف الأخلاق هي مشكلة المبادئ الأخلاقية وخصوصا أن كلمة مبادئ تشير الى معاني الضرورة، والكلية، والثبات، والإطلاق..الخ، وانه كثيرا ما يقال إن العصر الذي نعيش فيه لم يعد عصر مبادئ أخلاقية مطلقة، بل هو عصر مبادئ أخلاقية نسبية.

١- المطلق/

المطلق في الأخلاق هو **(ما لا يحده حد ولا يقيده قيد، مثل الخير المطلق)**

وقد اختلف الفلاسفة الذين يعتقدون ان المبادئ الاخلاقية مطلقة

١-هناك من يرى ان الخير قائم في طبيعة الأفعال الانسانية ذاتها فهم يعتقدون إن الفرق بين الخير والشر هو حقيقة موضوعية مستقلة عن كل إرادة إنسانية او إلاهية لان في طبيعة الفعل الخير ما يجعله خيرا وليس في وسع الإنسان أن يجعله شرا .

٢-وهناك من يرى بان الخير مرده الى الله والخير خير لان الله أمر به .

٣-وفريق ثالث يرجع الخير الى طبيعة العقل البشري وقد مثل هذا الاتجاه **(كانت)** وهو يعتقد أن الخير ثابت لا يتغير عام مطلق من قيود الزمان والمكان، فمستوى القيم الأخلاقية عند كانت مرهون بالإرادة الانسانية ، ولا يستمد من التجربة ولا يصدر عن عاطفة، والخير مرهون بالباعث باعتباره مجرد تقدير عقلي لمبدأ الواجب وليس لما يترتب على نتائج الفعل من ثواب وعقاب .

٢-النسبي/

يدل النسبي على المقيد، والنسبية الأخلاقية (**مذهب من يقرر إن فكرة الخير والشر تتغير بتغير الزمان والمكان**)، وفي العصور اليونانية صاغ بروتاغوراس مبدأ المذهب النسبي (الإنسان مقياس كل شئ) .

(فالتجريبيين) من النفعيين ووضعيين يقولون ان الخير والشر مجرد أفكار اصطلح عليها الناس في ضوء التجارب التي يعيشون بها ومن ثم استبعدت فكرة المطلق من مجال القيم الأخلاقية وردت المثل العليا الى التجربة واعتبرت الخير والشر مجرد استحسان او استهجان لعمل ما مرده الى ما يترتب على هذا الفعل من نفع او ضرر ومن لذة او الم، وقد أيد هذا الاتجاه في الأخلاق ظهور النظرية النسبية التي نادى بها (**اينشتاين**)، وانتهى الطبيعيون على اختلاف مذاهبهم الى إن المثل العليا نسبية واستبعدوا الخير الأقصى من مجال البحث الأخلاقي .

احد عشر/ مدارس ومذاهب أخلاقية

١-(مذهب الواجب كانط)

شهد العصر الحديث مذاهب أخلاقية جديدة منها مذهب الواجب الذي عبر عنه في كتابه **(نقد العقل العملي)**، اذ عرف الواجب بأنه **(ضرورة اداء الفعل احتراما للقانون)** . ويسمي كانط قوانين العقل العملي باسم **(الأوامر)** . ويفرق كانط بين نوعين من الأوامر :-

١-**أوامر شرطية مقيدة** :- وهذا النوع من الأوامر يخضع للقاعدة القائلة بان (من أراد الغاية فقد أراد الوسائل ايضا)، كان أقول (إذا اردت ان تكسب ثقة الناس فقل الصدق دائما)، وهذا النوع من الأوامر يقتضي أن الفعل الخلقي لا يكون خيرا إلا باعتباره وسيلة للحصول على شيء ما .

٢-**الأوامر القطعية** :- وهذا النوع من الأوامر غير مقيد بشرط كالقول **(كن خيرا)** وهنا لا يكون فعل الخير وسيلة للحصول على شيء ما لأننا هنا إزاء قانون أخلاقي عام ينبع من الإرادة الحرة.

ويحدد كانط ثلاث سمات رئيسة لمبد الواجب :-

١- **أن الواجب صوري محض** :- بمعنى انه تشريع كلي او قاعدة شاملة لا صلة لها بتغيرات التجربة، فقيمة الواجب كامنة في صميم الواجب بغض النظر عن اية منفعة او فائدة .

٢- **انه منزه عن كل غرض:**- بمعنى انه لا يطلب من اجل تحقيق المنفعة بل هو يطلب لذاته.

٣- **الواجب قاعدة لا مشروطة للفعل:**- بمعنى انه قانون سابق على كل تصور تجريبي فهو حكم أولي يمثل الواقعة الوحيدة للعقل العملي المحض فهو كلي وضروري وغير مشروط .

قواعد الفعل الثلاث

وضع كانت صيغا رئيسية للواجب:

١-**القاعدة الأولى** :- **(اعمل دائما بحيث يكون باستطاعتك أن تجعل من قاعدة فعلك قانونا كليا عاما للطبيعة)**، وهذه القاعدة الأساسية التي اعتبرها كانت مبدا لسائر القواعد الأخرى وتعني أن المحك الأوحد للسلوك الخلقي إمكان تعميمه من غير تناقض، فإذا كان في وسعي أن اجعل من القاعدة التي استندت عليها في فعلي قانونا لا يتعارض من الواقع الخارجي كان فعلي مطابقا للقانون .

٢- **القاعدة الثانية** :- **(اعمل دائما بحيث تعامل الانسانية في شخصك وفي الأشخاص الآخرين كغاية لا كمجرد واسطة)**، وهنا جعل كانط من الشخص الانساني غاية في ذاته واعتبره الموضوع الأوحد للواجب لانه عاقلا .

٣- **القاعدة الثالثة :- (اعمل بحيث تكون إرادتك – باعتبارك كائنا ناطقا – هي الإرادة المشـرعة الكليـة)**، وهـذه القاعـدة هـي بمثابـة مركـب يجمـع بـين القاعـدتين السـابقتين لأنهـا تـنص علـى ضـرورة خضـوع الإنسـان للقـانون، باعتبـاره هـو المشـرع الوحيد لـه، ومادامت الإرادة الانسانية هي بطبيعتها خاضعة للقانون فلابد لهذه الإرادة من أن تكون هـي مصـدر القـانون، بحيـث يكـون خضـوعها لـه هـو بمثابـة خضـوعها لنفسها وهذا ما يجعل منها إرادة حرة تصدر في كل أفعالها عن طبيعتها العاقلة وهذا يمثل استقلالية الإرادة الذي يعد كرامة الطبيعة البشرية .

٢-الحاسة الخلقية :-

نفر طائفة من رد الأخلاقية الى وجدان اللذة و الألم و تعليقها على أنانية الإنسان، فقد افتقدوا الثقة بالعقل الذي اطمأن اليه العقليون فلجئوا الى العاطفة يستفتونها في أسس الأخلاق، و على يدهم بدا الاتجاه الوجداني في فلسفة الأخلاق و هم أتباع مذهب الحاسة الخلقية .

ويعتقدون أن مدلول الحاسة الخلقية يختلف عن مدلول الحواس الخمس فان هذه الحواس وظيفتها إدراك أعراض المحسوسات أما الحاسة الخلقية فوظيفتها إدراك خيرية الأفعال و شريتها و إصدار أحكام نقيم هذه الأفعال و هذه الحاسة قوة باطنة يولد الإنسان دون الحيوان مزود بها و هي تميز بطبيعتها بين الخير و الشر فتغري صاحبها بفعل الخير و تجنبه فعل الشر دون انتظار الجزاء، و هذه الحاسة تشبه حاسة الجمال او قوة التفكير من حيث أنها متأصلة في طبائع البشر و لكنها تضعف بالإهمال و تقوى بالمران و تنمو بالتربية الحسنه و من اجل هذا اختلفت أحكامنا الأخلاقية على الفعل الواحد، و قد أحيا أتباع هذا المذهب فكرة اليونان في التوحيد بين الخيرية و الجمال، و ترتب على هذا التوحيد بين الخير و الجمال قول أصحاب هذا الاتجاه بان الإنسان ينشد الخير و ينفر من الشر لان النفس البشرية بطبيعتها تهفو الى الجمال و تضيق من القبح .

ويعد اكبر ممثلي هذا الاتجاه (اللورد شافتسبري) منشئ هذا الاتجاه، و(فرنسيس هاتشيسون) الذي تطور المذهب على يديه .

دلالات الحاسة الخلقية :-

يقول أصحاب هذا الاتجاه أن الشاهد على وجودها يبدو في أحكام الأطفال و غير المتعلمين حين تصدر على الأفعال مباشرة دون تفكير في نتائجها دون أن يفتقر وجودها الى تعليم او تثقيف بل يصرح بعضهم أن التثقيف قد يتلفها او يضعف من قدرتها على تأدية وظيفتها .

و من يلاحظ الأطفال وهم ينصتون الى القصص التي تلقى عليهم يتبين ان البشر يعلو وجوههم كلما استمعوا الى أحاديث الرحمة وإن علامات الضيق ترتسم على وجوههم متى تضمنت القصص القسوة و الجشع و الأنانية .

ولابد لكي تؤدي هذه الحاسة وظيفتها أن يمثل أمامها موضوع تصدر عليه حكمها المباشر، و من الممكن أن نستخدم حاستنا الخلقية في موقف نتصوره و لا تحتاج الى منبه خارجي و لا يجوز القول أن هذا ممكن في عالم الحواس الظاهرة لان تصور الألم مثلا ليس شبيها بالشعور بالألم، فضلا عن أن الحاسة الخلقية لا تحتاج الى عضو جسماني لتزاول وظيفتها .

والذي يدعو البعض الى إنكارها نزوعهم الى تصور الطبيعة البشرية بحيث ترد جميع الأفكار الى العقل و الحواس، إلا أن هناك عدد كبير من القوى المدركة المغروسة في طبائع البشر مما لا يعتبر عقلا ولا حسا يشهد بهذا شعورنا بمعنى الفضيلة مع عجزنا عن تفسيره .

فلسفة شافتسبري الخلقية :-

يعد شافتسبري أول من نقل مركز البحث الخلقي من نطاق العقل الى الدوافع الوجدانية التي تدفع الى إتيان الواجب الاجتماعي .

أ-التوفيق بين الاناتية و الغيرية:-

أقام البحث الخلقي على أسس سيكولوجية فقال إن في كل فرد وجدانات طبيعية فطرية تحمله على تحقيق الخير للآخرين و أن التجربة تشهد بوجود انسجام بين ميل الإنسان الطبيعي الى خدمة غيره و حبه الفطري لمصالحه، ففي كتابه (بحث عن الفضيلة و الثواب)يهاجم هوبز في تفسيره الأناني للخير ورفض أن يتصور الإنسان فردا منعزلا عن غيره من الناس، وقد بين ثلاثة أنواع من الدوافع :-

١- مشاعر طبيعية تحمل على تحقيق الخير للمجموع وهي تقوم على محبة الغير والتشارك الوجداني مع النوع الانساني .

٢- مشاعر ذاتية تتوخى تحقيق الخير لصاحبها دون غيره من الناس.

٣- مشاعر غير طبيعية لا تحقق خيرا لا خاصا ولا عاما، وهي تنشا عن الخرافة والعادات الهمجية .

استقلال الأخلاق عن اللاهوت :-

أفاد شافتسبري من اتجاه المسيحية في رد الباعث على خير الفعل الانساني الى الشعور بالمحبة فصرح أن مرجع أفعالنا الى الوجدان، ولكن متابعة شافتسبري للمسيحية في رد الأخلاق الى الوجدان دون العقل لا تعني اتفاق مذهبه مع مقتضيات هذه الديانة .

فلم يؤمن بما ورد في المسيحية من إغراء بإتباع السلوك الخير ووعيد بالسلوك السيئ فقطع بين الفعل الأخلاقي وجزاءاته الخارجية ورفض إقامة الأخلاق على أساس الطمع بالجنة او الخوف من النار فهذا يعد مفسدة للأخلاق فالح في إقامة الأخلاق على حب الفضيلة لذاتها وأن يكون الباعث على فعل الخير هو جمال الفضيلة، فالنفس بطبيعتها تحب الخير وتنفر من الشر ما لم تفسد طبيعة الإنسان بالتربية الفاسدة والقدوة السيئة والإنسان لا يحتاج في حبه للجمال (الخير) ونفوره من القبح (الشر) الى إغراء .

فرنسيس هاتشيسون :-

اعتنق هاتشيسون فكرة الحاسة الخلقية وصرح بأنه تلقى إشارات مذهبه عن اللورد شافتسبري و كان في مقدمتها ربط الخير بالجمال، لكن التفكير العقلي قد تسرب الى هذا المذهب الوجداني على يديه، وهو و ان كان قد اخذ عن شافتسبري فكرة الأريحية أي التوحيد الأنانية والغيرية .

ويحدد هاتشيسون مجال الحاسة الخلقية بالتفرقة بين نوعين من العلل هما :-

١- **العلة المثيرة** :- وهذه العلة تبدو في صفة للشئ تحمل الإنسان على فعل ما ففي المال صفة تدعو الإنسان الى طلبه .

٢- **علة مبررة** :- وهنا يرجع سلوك الإنسان الى صفة ملازمة للفاعل و يتمثل هذا في تضحية الشهيد بحياته في سبيل وطنه و هي علة مبررة لسلوكه .

و مما تقدم يتضح أن مرد العلل المثيرة الى انفعالاتنا و غرائزنا، أما العلل المبررة فمرجعها الى الحاسة الخلقية و الفعل الذي يصدر عن العلة المثيرة يهدف الى تحقيق غاية يسبقها انفعال بمحبة الذات او إساءة الى الآخرين و هي لا تقصد لذاتها فالمال يطلب لتسيير أسباب الحياة، أما الإلزام الخلقي الذي ينشا عن هذه العلل يفترض تحقيق السعادة او اتقاء التعاسة .

أما العلة المبررة فهي التي تقوم فيها الغايات القصوى أما الإلزام الذي ينشا عن العلل المبررة فيهدف الى تحقيق الخير الى صاحبه و الى الآخرين .

أما كيف نطمئن الى أحكام هذه الحاسة فمرجع ذلك الى شعورنا بيقظتها فينا، فإدراكها للخير طبيعي لا يحتاج الى تدريب او تعليم فهي تدرك الخير متى مثل أمامها و معنى هذا أن الخير ليس فطريا في نفوس البشر بدليل لاختلاف الناس في تصوره باختلاف الزمان و المكان .

٣-الأخلاق الاجتماعية في الوضعية الفرنسية

أ-الاتجاه الوضعي في الأخلاق عند إميل دور كايم

يعتقد دور كايم إن قيم الأخلاق ومثلها العليا من صنف **الظواهر الاجتماعية** التي تنشا باجتماع الناس ولا تكون من صنع الأفراد ويكون لها من السلطان ما يمكنها من أن تفرض نفسها على الأفراد ولا تتأثر بهم، فالأفراد يتلقون توجيهاتهم من المجتمع ويستجيبون لها راضين او مكرهين، وبهذا تكون المثل العليا وليدة صنع المجتمع وليس لفلاسفة الأخلاق دور في صنعها .

أما وظيفة علم الأخلاق فهي أن يقوم بدراستها كما هي موجودة بالفعل عند جماعة مرتبطة بزمان ومكان معينين .

وكثيرا ما تصطدم الواجبات الاجتماعية بعواطف الفرد ولكن التجربة تشهد بان الفرد يتغاضى في هذا الحال عن مشاعره الخاصة وينصاع لمعايير المجتمع ومثله العليا، والفرد حين يستجيب للمبادئ التي تفرضها الجماعة عن رضا لا يكون هذا دليلا على أن سلوكه يصدر عن ذاته بل إن هذا يدل على انصياعه لسلطان المجتمع، وبهذا يعكس الضمير ببيئة الجماعة التي ينتمي اليها حيث تنشا الأخلاق عن حياة الأفراد مجتمعين وهم في صراعهم المتصل ابتغاء السيطرة على قوى الطبيعة .

ب-فلسفة الاخلاق الاجتماعية ليفي بريل

انشغل ليفي -بوصفه عالماً اجتماعياً- بتشييد علم الأخلاق على أسس اجتماعية، ويرجع الفضل اليه في هدم الوضع التقليدي القديم للمشكلة الخلقية وإقامتها في وضعها العلمي الجديد:

ا-**هدم التصور التقليدي للأخلاق** :- تصدى ليفي لهدم التصور التقليدي لعلم الأخلاق باعتباره علما معياريا ووضع من اجل هذا سلسلة أبحاث أظهرها كتاب (الأخلاق وعلم العادات) حيث يقول فيه :-

لا تقال كلمة علم إلا على العلوم الطبيعية فهي التي تحقق خصائص البحث العلمي من حيث إنها تتناول البحث في الظواهر الجزئية بمناهج الاستقراء التجريبي و بهذا تقصر دراستها على ما هو كائن و لا تتجاوزه الى ما ينبغي أن يكون وليس هذا حال علم الأخلاق التقليدي الذي يريد أصحابه اعتباره علما نظريا ومن ثم يكون في عرفهم علما معياريا، ومثل هذا البحث لا يكون نظريا إلا إذا أخذنا اللفظ في أضيق معانيه .

٢- قيام التصور العلمي الجديد :-

أنكر ليفي بريل عمومية المثل العليا مستندا الى إن التجربة تشهد بأنها تختلف باختلاف الشعوب، ففلسفة الأخلاق التقليدية ترى إن الطبيعة الانسانية واحدة في كل زمان و مكان، و بالتالي من الممكن وضع مبادئ عامة للسلوك الانساني مع أن

التجربة تشهد باختلاف طبائع الناس في كل زمان و مكان، فضلا عن إنهم يقولون إن الضمير فطري مطلق و لهذا اخذوا يبررون أوامره منطقيا .

ومتى تلاشى هذا التصور احتل مكانه تصور جديد يمتاز بأنه واقعي يقوم على اعتبار قواعد الأخلاق مجموعة من الظواهر من الممكن أن تدرس بنفس الروح العلمية التي تدرس بها سائر الأحداث الاجتماعية .

وتصوره الاجتماعي الجديد للأخلاق يقوم على دراسة الظواهر الخلقية دراسة موضوعية و ليست ذاتية مستعينا بالمنهج التجريبي الذي تدرس به الظواهر الطبيعية المادية، و بذلك يصبح الغرض من البحث الخلقي معرفة قوانين الحقائق الاجتماعية للسيطرة عليها .

٤- التطور في فلسفة الأخلاق

١-هربرت سبنسر :-

اعتبر علم الأخلاق علما واقعيا طبيعيا وليس فلسفيا يهتم بدراسة المبادئ والمفهومات الميتافيزيقية، لذلك اهتم **سبنسر** بدراسة سلوك الإنسان ومعرفة غايات الأفعال الانسانية وقوانينها، وقد اخضع مبادئ الأخلاق لقانون **الانتخاب الطبيعي** عن طريق **التنازع على البقاء**، فما يبقى من المبادئ ما يصمد للتجربة وينقرض منها ما لا يقوى على النضال، فالخير ما يحقق أغراض الحياة والشر ما يتعارض مع أهدافها، أما وظيفة الأخلاق أن تساعد الفرد على أن يحيا ويتكيف مع بيئته، ومن أجل هذا اختلفت الأخلاق باختلاف الزمان والمكان .

٢- وقانون التطور عنده يؤكد إن تكيف الإنسان مع بيئته في تقدم مستمر، فالإنسان بدا **أنانيا** ثم فطن الى أن التعاون مع الجماعة يزيد من منافعه الشخصية ومن هنا

جاء ميله الى التعاون حتى أحب الناس الخيرية لذاتها دون النظر الى ما يترتب عليها من نتائج .

٣-وحينما أراد أن يحدد سبنسر السلوك الخير انحدر الى حياة الحيوانات الدنيا ورأى أن جوهر الحياة في أدنى صوره يقوم في الجهد الذي يواصل الكائن الحي بذله لكي يلائم بين نفسه وبين بيئته، والسلوك الخير يحقق لصاحبه لذة لأنه يفضي الى الانسجام بين بيئته وتكتمل خيرية السلوك الخير متى حقق منفعة لا تقترن بمضرة، وغاية الأخلاق القصوى تقوم في المساهمة في تعجيل التطور الذي يحقق تكيف الفرد مع بيئته، فالحياة الخلقية تتحرك بنا نحو مثل اعلى يحقق الانسجام الكامل بين الفرد و المجموع .

٢-(نيتشه)

يشير أحد الباحثين "الى اننا بحاجة إلى فهم الأخلاق بممارسة نيتشه في نقده للأخلاق"، وقسم نيتشة الأخلاق الى قسمين:-

١-أخلاق السادة :

فأخلاق السادة هي التي تمكن للإنسان القوة وتوطد نفوذه وهي تتمثل في الاعتزاز بالقوة واحتقار الضعف واحترام القسوة والاستخفاف بالرحمة وحب الصراحة وكراهية الكذب والميل الى الظفر في ميادين الكفاح وقهر المنافسين والسير على جثثهم في غير رفق ولا رحمة .

٢-أخلاق العبيد:

وهم المقموعون والمتألمون، وهنا تزين الصفات التي تصلح لتخفيف عبء الوجود عن كاهل المتألمين، إذ يكرم التراحم والصبر والقلب الدافئ، لأن هذه الصفات هي

التي تكاد تكون الوسائل الوحيدة لإحتمال الوجود، وكلما كانت الغلبة للعبيد أظهرت اللغة نزوعاً الى التقريب بين لفظي غبي وخير، وفي حالة اعتيادية من ارادة الإنتقام الذي يحتاجه الانسان لكي يسبغ على نفسه مظهر التفوق فهناك الكلمات الأخلاقية الرنانة مثل العدالة، الفضيلة، القداسة، والحكمة .

ولكن العبيد يتمردون على قيم السادة و يضعون غيرها مما يلائم و ضعهم كعبيد و من هنا جاء التناقض بين إحكامهم وأحكام سادتهم، فإذا كانت الفضيلة عند السادة تقتضي القوة والقدرة على الصراع ونحوها من فضائل ايجابية اقتضت الفضيلة عند العبيد الدعة و المسالمة و التواضع والتعاطف نحوها من الفضائل سلبية وبهذا تتغير القيم بدافع من حقد العبيد على سادتهم ورغبتهم في الانتقام وعن هذا تنشا المثل العليا الهزيلة التي تجعل من الضعف فضيلة

وقيم العبيد تتنافى مع قوانين الطبيعة فإذا كان من الطبيعي أن ينقرض الضعيف ويبقى **الأصلح** أوجبت قيم العبيد مساعدة الضعيف وأذا كان من الواجب رد العدوان بمثله اقتضت قيم العبيد أن يصبر المظلوم على المكروه لان احتمال الظلم خير من ارتكابه، وقد مكن الأنبياء من جعل العبيد مصدر القيم الأخلاقية ومن هنا أصبح الفقر سمة الفضيلة .